

المحاضرة السادسة -6-

غزوات الجرمان وسقوط الجناح الغربي من الإمبراطورية الرومانية

لا طالما نظر الرومان إلى الأراضي المجاورة لحدود إمبراطورتهم نظرة دونية، نظرا للراقي الحضاري الذي عرفته روما منذ قرون عديدة، لذلك أطلقوا تسمية البرابرة على الشعوب المحيطة بهم، كالهون والبلغار والمجربين والمغول من الشرق والسلاف والجرمان والكلتيين من الغرب، وشملت أيضا الفرس وحدود بلاد العرب وشمال إفريقيا.

وشهد الرومان قدوما مبكرا للشعوب المتبربرة وعلى رأسهم الكلتيين منذ القرن الخامس قبل الميلاد واستقروا قرب نهر الراين على الحدود الفرنسية التي صارت تعرف فيما بعد باسم غاليا، ورحل قسم منهم إلى إسبانيا وإيرلندا وشكلوا اتحادات فيما بينهم إلى غاية القرن الأول قبل الميلاد، حيث تقلصت الأراضي التي كانوا يسيطرون عليها، فطردهم الجرمان من شرق الراين وغزا الرومان غاليا وبريطانيا، فلم يبق لهم موطن مستقل سوى إيرلندا.

1-الجرمان:

أطلق الرومان اسم الجرمان على تلك الشعوب التي وفدت إلى حدود نهري الراين والدانوب قادمين من موطنهم الأصلي بحر البلطيق في الشمال، وخلال رحلتهم نحو الجنوب استقر قسم كبير منهم حول نهر الدانوب وانقسموا فيما بعد إلى مجموعتين كبيرتين: الجرمان الغربيون وهم الفرنجة والسكسون والقوط الغربيين والإنجليز، أما الجرمان الشرقيون فيتكونون من الوندال والقوط الشرقيون والبرجنديون واللومبارديون.

2- أوضاع القبائل الجرمانية:

*- انقسم الجرمان إلى ثلاث طبقات اجتماعية وهي:

أ- طبقة النبلاء: وهم المقاتلون في الحروب ولا يمتهون في أوقات السلم أي نشاط سوى الصيد والراحة، وهم من أسر الملوك ورؤساء المقاطعات والأسر العريقة وقادة الجيش.

ب- طبقة العبيد: اقتصر عملهم على خدمة الأرض وزراعتها، حيث يدفع العبد لسيدته كل موسم قدرا معلوما من الحبوب والماشية والملابس.

ج- طبقة الأحرار: لا يختلف وضعهم كثيرا عن العبيد غير أنهم أرفع منهم درجة لامتلاكهم بعض الأراضي، ومنهم يتم اختيار المحاربين.

*- كانت حياتهم بدائية إلى أقصى حد، حيث اعتمدوا في بناء منازلهم على الطين وأغصان الأشجار ولبسوا جلود الحيوانات، أما طعامهم فقام على بعض المنتجات الزراعية وما يتم صيده من الحيوانات.

*- اهتم الجرمان بالزراعة وذلك بعد استقرارهم منذ بدايات القرن الرابع ميلادي، حيث زرعوا القمح والشعير في الأراضي التي استولوا عليها واقتسموا المغام التي تنتجها بين الأسر الجرمانية التي كانت سبابة في وضع اليد عليها.

*- تميز الجرمان بضخامة الجسم والبشرة الناصعة البياض، الخدود الوردية، العيون الزرقاء، الشعر الأشقر واللحية الطويلتان، كثيري العدد، يمتازون بالشجاعة والحرية والذكاء، يكثرون من شرب النبيذ.

*- عرفوا باحترامهم للعهود والترابط بين الأسرة الواحدة، واشتهر عنهم كرمهم الكبير ومراعاتهم الشديدة لرباطك الزوجية المقدس.

*- مثلت الأسرة القاعدة الأساسية للمجتمع الجرمني، وكان للأب السلطة المطلقة فيها، بلغت الحد إلى امتلاكه حق سلب الحياة من أفراد أسرته، وتحمل الأسرة المسؤولية عن أي جرم يقترفه أحد أفرادها.

* - اعتمد الجرمان في معاملاتهم ومقايضتهم على الخيل والماشية وغيرها من الحيوانات النافعة، رغم معرفتهم بالنقود الرومانية وأواني الذهب والفضة.

* - كانت ديانتهم عبارة عن مزيج من الأساطير وعبادة قوى الطبيعة كالكواكب والنجوم، وكان لهم معبود رئيس يعبدونه وهو كوكب عطارد، يقدمون له القرابين في بعض أيام السنة من الحيوانات وحتى البشر.